عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 140 / 26 كانون الأول 2019

نازحين شمال ادلب

عدسة عمار الديك - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

2019 سنة الرمال السورية المتحرّكة

تطوي روزنامة الموت السورية عاماً آخر. دام كسوابقه منذ انقلاب أعشار الألفية نحو حقبة الثورة، عام مختلط الملامح، حافل بالانكسارات، وضاجّ بالمذابح، لكنّه عام فريد في تحولاته الجيوستراتيجية. قد يكون بداية مبكرة للعشرية الثانية، التي سترسم مصير هذا البلد لزمان طويل مقبل، عام ارتسم على مدى حوادثه المتلاحقة، ووضع أسس الجيوستراتيجا المبتسرة لأرض مادت كثيراً خلاله، وتحوّلت خطوط حدودها في داخلها وعلى أطرافها غير مرّة، بعنف مفرط، وفجائية صادمة.

بعد سقوط آخر بؤر سيطرة تنظيم "داعش" وتشظي التنظيم إلى كيان غير محدد الجغرافيا في البادية، تحت أنظار الروس والنظام، وعلى تخوم المستعمرات الإيرانية في دير الزور، أقفل عام "داعش" على صاعقة قتل زعيمه أبو بكر البغدادي في ريف إدلب، حيث لا تجد التوقعات المباشرة في السياسة والحرب ما يدعمها، بل إنّه حدث دفع رأس النظام إلى سيل لم ينته بعد من الهراء الصرف.

دفعت وحشية القصف الروسي النظام نحو مزيد من السيطرة، سقطت مدن غالية بمرارة موجعة، وتشرد مئات الآلاف من السوريين لمرّة ثانية وثالثة ورابعة.

نفذّت تركيا وعيدها بنفاذ الصبر على وجود مليشيات "قسد" التي يقودها الفرع السوري من حزب العمال الكردستاني -المصنف كتنظيم إرهابي في تركيا وأميركا وأوروبا- ودفعت الجغرافيا السياسية في سوريا نحو تحولات إضافية، وأعادت صياغة موازين القوى والحضور.

قرر ترامب سحب قواته من سوريا مرّات عدّة وغير رأيه مرّات عدّة، ليؤول الحال إلى إعلان وضع اليد على النفط.

تلاشت قدرة رشاوى التعالي الإيرانية في مناطق سيطرة النظام، وعادت دمشق إلى سيرة تقنين الكهرباء الفظ، وأزمات الوقود المتلاحقة، وطوابير الغاز، والارتفاع الهستيري للأسعار، ليكتمل طوق الإملاق المفضوح بانهيار سعر الليرة، وباتت عتبات صرف -كانت في ما مضى مجرد خيال- أمراً واقعاً لعملة يتم الدفاع عنها بمزيد من الهراء.

اختتمت 2019 مشاهد رمالها المتحركة، التي ابتعلت كلّ أوهام انتهاء الحرب عند معسكر النظام وداعميه من دول ومنظمات إرهابية، بقانون "قيصر" الذي سيفرض إيقاعاً جديداً في حركية مضادة لما سعى الروس خصوصاً إلى بنائه عبر بروباغندا السوخوي باعتباره أمراً واقعاً يقضي بانتصار الأسد.

عشرية ثانية مبكّرة على الأبواب، تضمر تحولات لا تقوم على أسس منطق العشرية الأولى، لكنها تكمل حقيقة استحالة انتصار الطاغية.

3-4-5 يوم من حياة وليد وهبة وعبد الله في "حضن الوطن"

6-7 عراقيل وعقبات أمام عمل المنظمات المحلية في ديرالزور

8-9 في اجتماع القامشلي.. علي مملوك يتوعد الأمريكيين

10-11 عام دراسي متعثر في إدلب ومبادرات محلية لإنقاذه

12 أساليب التدفئة البديلة في الشمال السوري

14 شيطانية عارية

15-16 قانون قيصر.. الأسد منبوذاً كما يجب

19 بسام أبو عبد الله.. محطات من سيرة الفتى البليد

يوم من حياة وليد وهبة وعبد الله في «حضن الوطن»

التصميم لمصطفى يعقوب

ورد فراتي

دعوات النظام للسكان النازحين في مناطق خارجة عن سيطرته للعودة إلى "حضن الوطن" تتواصل، ويتبين يوماً بعد يوم للعائدين أن "الوطن" الذي وعدوا به لا يعدو كونه سجناً كبيراً يقتات العائدون إليه من الهتافات بحياة القائد أكثر مما يقتاتون من الأساسيات البديهية للحياة، وباتوا حائرين بين البقاء في البيت العائلي وسط أجواء من الذل، ينتظرون من السماء مخرجاً منه، وبين سلوك طريق النزوح المذلة مجدداً.

الثامنة صباحاً \ الميادين

يمرّ الشاب وليد بدراجته النارية أمام مدرسة ابتدائية في مدينة الميادين كانت كتيبةٌ من الجيش الحر قد حوّلتها أواخر عام 2012 إلى مقرّ عسكري لها بعد تحرير المدينة من قوات النظام. يسعى جاهداً لمقاومة رغبة جامحة اجتاحته للدخول إلى المدرسة لمشاهدة الجدار في باحتها الذي كان يضم أسماء الشهداء وبينهم اسم صديق طفولته وزميل دراسته الذي استشهد أثناء معارك فك الحصار عن أحياء ديرالزور عام 2013. يتركُ وليد المدرسة وهو يعرف أن الجدار قد طمس على أيدي جماعة النظام، ويتوجه إلى السوق المعروف سابقاً بشارع الجيش، ليقابل شخصاً وعده بوظيفة حكومية في أحد المشاريع التي تموّلها "منظّمة أوروبيّة" لعلها تنقله من حالة العوز التي يعيشها.

يلخص وليد ما وصلت إليه حالة هذه المدينة المنكوبة بالقول "كل شي هِيْن كئيب..". فالميادين كغيرها من مدن وقرى "منطقة الشامية" في ريف ديرالزور الشرقي، تعرضت أثناء هجوم قوات النظام عليها مع داعميه الروس والإيرانيين لعملية تدمير واسعة. وشملت عمليات "التعفيش" كلّ منازل المدينة، و"كل" هنا ليست مبالغةً أو تعميماً، بل هي الحقيقة التي طاولت كل منازل المدينة أكانت للفقراء أو الأغنياء على حدّ سواء.

التاسعة صباحاً/ البوكمال

على بعد 85 كيلومتراً شرق الميادين يجلس "عبد الله" على ضفّة نهر الفرات في مدينة البوكمال مطيلاً النظر في المياه المتموّجة أمامه. قال بحسرة "لما كنت بالسجن كان كلشي بدّي ياه إني إقدر أطلع وآجي هون أقعد هالقعدة"، قبل أن يضيف بصوت مختنق: "هسّا ما قاعد أصدّق إنه صرت أحن لهذيك اللحظة.. للسجن!".

يشرح عبد الله أنّ حالة الانتظار داخل الزنزانة كانت أبشع ما واجهه خلال أعوام اعتقاله بسبب مشاركته في التظاهرات المناهضة للنظام. لكن حالة الانتظار هذه كانت الشيء الوحيد الذي كان يمنحه الصبر، ففكرة أفواج الثوار تفتح له ولرفاق معتقَله أبواب الزّنازين كانت "الحلم" الذي يُمّني النّفس به ويعطيه نعمة الصبر.

يتابع عبد الله "كلما كنت أسمع صوت رصاص بعيد.. كنت أقول أَجَمْ..". بعد فترة بات يحلم بالخروج بصفقة تبادل توصله إلى البوكمال ليذهب إلى مدينته التي سمع بأنها باتت محرّرة، وليجلس في هذا المكان بالتحديد على ضفة الفرات ليلعن الأسد ونظامه بصوت عال تضجّ به مياه النهر. لكن هذا أيضاً لم يحدث!

خرج عبد الله في بدايات عام 2018 بحكم قضائيّ ساهمَ فيه مبلغ مالي دفعَه ذووه، ليجد نفسه على متن حافلة متوجهة إلى شرق البلاد حاملاً بطاقةَ حكمِه التي باتت جوازَ عبوره إلى البوكمال. لكن قوات النظام كانت قد أحكمت سيطرتها على مدينة عبد الله بالتعاون مع ميليشيات إيرانية، فتلونت بآلاف الصور والأعلام والشعارات المستفزة له، ما جعله يشعر بضيق واختناق يفوقان ما كان يشعر به في زنزانته خلال فترة الاعتقال.

الميليشيات الإيرانية في البوكمال

العاشرة صباحاً/ ديرالزور

في مدينة ديرالزور تنتظر "هبة" منذ نحو نصف ساعة امتلاء "الباص" بالطلبة، حتى تبدأ رحلتها من نقطة تجمّع الحافلات عند رئاسة الجامعة في حي القصور، إلى جامعة الفرات التي عادت إلى الدراسة فيها في العام الدراسي السابق.

تقول هبة عن خيبة أملها إزاء ما وصلت إليه الأمور في مدينتها: "مناظر الحواجز والشبيحة شي اتعودت عليه.. نفس الشي هون وبالشام، بس الفرق إنو غَادِي كانت صورة الدير المحررة عاطيتنا أمل ببكرا".

والد هبة ليس من المتحمّسين كثيراً للثورة والجيش الحر، لكنه يرى الشرّ المطلق في نظام الأسد. لذلك لم تكن تسمع تذمّره كثيراً عندما بدأ ثوار الدير معارك التحرير، وحتى عندما اضطُرّ إلى النزوح مع عائلته إلى دمشق تاركاً وراءه مدينة مقسومة بين الثوار وقوات الأسد.

لكنّ ظهور داعش وما تبعه من حصار خانق على شطر المدينة الخاضع لسيطرة قوات النظام في حيّي "الجورة والقصور"، حوّلَ كل الأطراف إلى أهدافٍ لشتائمه. وبحسب المعادلة البسيطة التي لا يفتأ يرددها "لو ما الثورة ما طلعولنا الدواعش.. ولو مو الدواعش ما رجع النظام" يصبح الجميع بنظره متورّطين في المأساة.

وقت الظهيرة/ الميادين

تعود "منى" ابنة "وليد" ذات الأعوام العشرة من مدرستها، وهي التي ولدت قبل قيام الثورة بعام ونصف عام. وبالإمكان القول أن خدّها الحِنطيّ وثّق تاريخ المدينة للسنوات القليلة الماضية، من علم الثورة مرسوماً عليه مع انطلاق التظاهرات السلمية فيها، مروراً بالدموع تنساب عليه أيام حملة براميل النظام التي استهدفتها بعد التحرير، إلى الخمار الذي غطّى وجهها إبان احتلال داعش وفرضه السواد حتى على الأطفال، وصولاً إلى التراب والغبار ومعاناة النزوح خلال رحلة الانتقال الشّاقة إلى ريف حلب الشرقي مع بدء النظام وحلفائه حملتهم للسيطرة عليها.

يقول وليد: "كل ما أشوف وجهها أخاف أكون ظلمتها برجعتنا عالبلد". لكن ما الذي يمكن لوليد أن يفعله وقد استنزَفَ مدّخراته في بلدِ نزوحه، وأثقلَ على أخيه "اللّاجئ" في أوروبا والذي يقتسم معه مِنحةَ اللجوء الشهرية؟! "مابي شغل بالباب ولا مساعدات.. والبيوت آجاراتها نار وحتى الخيمة ما تتهيّالنا.. وإذا بدك تطلع على أوروبا بدك تحط مبلغ الله ربّه.. وهِين عندنا بيت يسترنا أقل شي"

وما ساعدَ وليد في قرار العودةَ إلى الميادين، أنّ أكبرَ أبنائه الذكور لم يتجاوز السابعة وبالتالي لا تجنيد إجبارياً يخشاه. أما هو فقد انقضت "خدمته للعلم" قبل بداية الثورة، ورغم أن منزله المتواضع بطابق واحد لم تبق فيه قطعة أثاث، فإنه يبقى بالنهاية منزله الذي يستطيع إيواءه.

الثانية ظُهراً/ البوكمال

يُقفِل عبد الله راجعاً إلى منزله مارّاً بالسوق المقبي شِبه الفارغ، يقلّبُ بصره في وجوه الناس، وتتبادر إلى ذهنه أسئلة كثيرة، مثل كيف يعيش كلّ هؤلاء حالة الانتظار نفسها التي يعيشها منذ كان معتقلاً، وهم لا يعرفون ما ينتظرونه؟ أيامهم تمر بطيئة وثقيلة ولا يوجد ما يوحي بأن شيئا ما قد يتغيرَ.

يدخل إلى المنزل مقبِّلاً رأس والدته التي تخلّتْ منذ أمد عن ولعها بإعداد وصفات طعام جديدة ومختلفة، لأن "جيش التعفيش" لم يبق لهم على أيّ من الحِلل أو الأجهزة التي كانت تستخدمها وتفاخر باقتنائها، واقتصر الأثاث الجديد على بعض "المواعين" المستعملة وموقدٍ صغير "بعينين" على قدر ما سمح به راتب زوجها التقاعدي. أما والده الستّينيّ فربما يكون الشخص الوحيد في البوكمال الذي يعرف ما ينتظر.. معجزة!

خسر والد عبد الله كلّ ما يملك باستثناء بيت العائلة الذي يعيشون فيه، ما جعله يزهد بالدنيا وما فيها، وينزع أكثر نحو نظرةٍ صوفيّة للحياة. ولعل هذه الحالة دفعته الى رفض مغادرة المدينة مرة أخرى بعد رحلةِ نزوح قصيرة أثناء عمليات سيطرة قوات الأسدً على المنطقة، رغم محاولات عبد الله الكثيرة لإقناعه بتركها إلى مناطق الجيش الحر في الشمال، أو حتى منطقة الجزيرة حيث قوات (قسد).

- "يا ابني وين نروح.. كلها نفس الشي.. يعني انت تفكر غادي أحسن؟!"

- "أحسن أكيد.. يكفّي ما نشوف هالكلاب بوجهنا كل يوم.."

الميادين - من الإنترنت

- "ما رح يضلّوا هَذُول.. ربك بس بدّه ما يخلّي منهم حدا.."
- "يا حجي علينا نتصرف بالشّايفينه.. خلّينا نبيع البيت ونطلع"
- "يا ابني إنتَ اطلع وروح.. آني وأمك ما نقدر نترك"
- "يعني شلون أتركّم وأروح.. هاذ مو حكي.. والله يا حجي مثل مو شايفك البلد كلها رح تتشيّع.. وهذول مو طالعين بعشرين سنة.."
- "وَلْ شتحكي إنت.. ربك ما يخلّيهم.. وإلّا يروحون.. بس قول يا الله واتوكل عليه"

ينقلُ عبد الله هذا الجدال مع والده من دون أنْ يُخفي ضيقَ صدره من الطّريقة التي يرى فيها والده الأمور، وهو لا يستطيع أن يجبره على المغادرة، كما لا يستطيع أن يتركه مع والدته بعمرهما المتقدم وحدهما.

العصر/ ديرالزور

عند انتهاء الدوام الجامعي يستقلّ الطلاب "حافلة نقل جامعي" إلى نقطة تجمع الباصات في حي القصور، ومنها يأخذون حافلة أخرى كلٌّ إلى حيّه، حيث ينفِق الطالب 200 ليرة يومياً كأجور مواصلات، وهو مبلغ، وإن بدا قليلاً، إلا أنه يشكّل عبئاً حقيقياً على كثير من العوائل التي تؤمّن قوت يومها بشقّ الأنفس.

ورغم أن أحوال والد هبة المادية ليست جيدة كثيراً، إلا أنه يصرّ على أن تأخذَ سيارة أجرة في طريق عودتها من الجامعة مُنفقة "500 ليرة" يومياً، بسبب الأخبار التي تنتشر من حينٍ لآخرَ عن حوادث اختطافٍ في المدينة، كان آخرها لفتاة اختفت مدّة يومين قبل أن يتمّ العثور عليها جثة في أحد البيوت المدمّرة؛ وتقول الشائعةُ أنّ أحد الجنود كان يحاول "مصاحبتها" في الفترة التي سبقت اختفاءها.

لا تلتزم هبة بتعليمات والدها الصارمة عن عودتها مباشرة إلى المنزل، إذ اعتادت بعد انتهاء الدوام على التجوّل في سوق القصور مع بعض زميلاتها، لكنها في ذلك تحتاط كثيراً لتجنّب أي احتكاك بعناصر الأمن، أو المرور بحواجز الميليشيات.

"يعني شلون إذا عايش احتلال.. هِيجِذْ عايشين.. كرهانين بس ما حدا مفكر يحكي حتى.. الناس تعبت"

المساء/ الميادين

اليوم هو موعد الحوالة المالية التي يتلقّاها وليد من أخيه في ألمانيا كل بضعة شهور، لذلك سمح لنفسه بشراء "فروجة" لطعام الغداء. يدخل منزله فرحاً بما جلب معه منادياً على زوجته. لكنها هذه المرة لم تستقبله بابتسامتها التي فشلت سنون القهر في انتزاعها.

- "خير.. شنو صاير؟"
- "منى اليوم بالمدرسة سابّة عالنظام"
- "شلون؟؟.. منو قالِك"
-"هِيَ قالتلي.. سامعِتها الآنسة ومفهِمتها تجي تقُلّلنا شنو صار؟"
- "وينها الحمارة؟"
- "طوّل بالك.. ما حدا سمعها إلا أم محمد.. بس لازم تقعد مع الولاد وتفهّمهم شنو يحكوا وشنو ما يحكوا.. انت يسمعولك أكثر مني"

كيف يمكن حقّاً أن تُقنع طفلاً تعود خلال سنوات الثورة على قول ما يشعر به وما يسمعه في منزله من دون مهادنة؟ تذكّر وليد القصة التي أخبره بها والده عن المصير الأسود لرجلٍ قال ابنه للرّئيس العراقي الرّاحل صدام حسين عند سؤاله إيّاه "إنت تحبني؟!"؛ بأنّه يحبّه لكنّ والده يكرهه ويشتُمه كلّما ظهر على شاشة التلفاز!. ثم خطر له أنّ مبدأ التقيّة في المذهب الشّيعي الذي تحاول إيران فرضه في المنطقة قد يكون مفيداً الآن.

"ضَلّيت ساعة كاملة أحاول أفهِّمها شنو تقول بالمدرسة، بس تِعرَف شنو أحقر شي؟! إنّه ما كنت أقدر أدحِّق بعيونها وأنا أقلّلها إكذبي" يضيف متنهّداً: "هاي البنت نفسها اللي كِنتْ آخذها معاي عالمظاهرات، وتسمعني لمّا أصَيّح عالناس الملثّمة: ليش تجبّن ليش تخاف.. خلّيك واضح شفّاف.. بدّك أسوأ من هالوضع؟!"

آخر الليل/ البوكمال

بالنسبة لعبد الله فَشِلّة الحارة التي تجتمع في منزل جارهم كلّ ليلة على لعبة الشدة (موراكو)، هي الشيء الوحيد الذي يُعِينه على تمرير الوقت هنا. الشلّة تتطرّق دائماً لآخر الأخبار في سهراتها تلك، إلّا أنّ تعليقاتهم عليها تكون "تهكّماً" في غالب الأحيان، فلا أحد هنا يؤمن أنّ نهايةً أخرى للتّاريخ ممكنةٌ غير انتصار الشرّ، وجلّ ما يطمحون له هو أنْ يتوسّع نفوذ المحتّل الروسي على حساب الإيرانيين في البلاد.

انتهت السهرة وغادر عبد الله إلى منزله متأخراً كعادته، وهي رفاهيّة لا يملِكها أكثرُ أبناء المدينة، إلّا أنّ قرب مكان السهرة من منزله يسمح له بما يحرّمه واقع التسيّب الأمني على كثير من أقرانه. دخل عبد الله منزله ليسمع صوت والده يصلّي كعادته في غرفة الضّيوف الفارغة إلّا من حصير اتّخذَه والدُه مُصلّى.

أشفَقَ عليه وهو يفكّر أن لا أحد في البلاد تضرّر مثل ما حصل لكبار السّن!، فهؤلاء أفنُوا عمرهم عَمَلاً بانتظار يوم يجنون فيه ثمرة تعبهم، بأبناء وأحفاد يحيطون بهم، ومنزلٍ مريح يقضون فيه أوقاتهم بسلام وسكينة.

"خنْقَتْني العَبْرة وآني أسمعُه يِدعي: يا رب فرجك القريب.. يقولها ويعيدها.. ويمكِن لأوّل مرّة أفهم شنو يظَلّ يقُلّي.. بواب الأرض كلها اتسكّرت جَد.. وما ظَلْ إلا باب السّما.. وما بإيدي إلا أقول وراه: يارب.."

عراقيل وعقبات أمام عمل المنظمات المحلية في دير الزور

خالد العبد الله

بالرغم من الانتقادات الكثيرة الموجهة إليها، تلعب منظمات المجتمع المحلي الناشئة في مناطق نفوذ "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) في محافظة دير الزور، دوراً مهماً لتحسين الحياة اليومية للسكان، إلا أن ناشطيها يشكون من الطريقة السلبية التي تتعاطى بها "الإدارة الذاتية" أو قسد معهم.

يرتبط غالب عمل هذه المنظمات في ديرالزور بوجود قوات التحالف الدولي في المنطقة، وقد أدى التردد بين إبقاء أو سحب القوات الأمريكية الى توقف نشاط هذه المنظمات وتعليق جميع برامج الدعم التي كانت تقدمها للسكان في هذه المنطقة. إلا أن تراجع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن قراره سحب قوات بلاده وإبقائه على جزء منها، أعاد الحياة لنشاط المنظمات، من دون أن يخفف من معاناتها مع بعض المسؤولين المدنيين والعسكريين التابعين للسلطة القائمة.

في دير الزور تنقسم المنظمات الفاعلة إلى منظمات صغيرة محلية خدمية تنموية، ومنظمات إنسانية دولية تعنى بالشأن الإنساني الطبي والإغاثي. عملت المنظمات الإنسانية الدولية على دعم المستشفيات وتهيئة محطات مياه الشرب وإعادة تأهيل بعض المدارس. من أبرز هذه المنظمات solidarites (منظمة التضامن للإغاثة الإنسانية الدولية)، ومنظمة syria relief، ومنظمة كونسرن، ومنظمة acted (وكالة التعاون التقني والتنمية) بالإضافة إلى الوكالات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة.

أما المنظمات الصغيرة فهي تشكلت بمبادرة من الأهالي، وتعنى ببعض النشاطات الإنسانية إضافة إلى الأعمال الخدمية التنموية التي تقدمها. ويقف خلف هذه المنظمات برنامج دعم متعدد النشاطات يشرف عليه فريق "ستارت" START (Syria) Transition Assistance Response Team/ فريق الاستجابة للمساعدة الانتقالية في سوريا) ويمثل هذا الفريق ما يشبه القنصلية الأمريكية في سوريا.

تشكيك من الأهالي بعمل المنظمات

تواصلت عين المدينة مع ناشطين في ست منظمات محلية، طلبوا جميعاً ولأسباب أمنية إغفال أسمائهم وأسماء المنظمات التي يعملون فيها. تتشارك هذه المنظمات في تعريف واحد عن نشاطاتها ينشر على صفحاتها على فيسبوك جاء فيه "نحن مجموعات مدنية من أبناء محافظة ديرالزور نسعى لتغطية إهمال السلطات للخدمات الأساسية وتغطية النقص في تأمين احتياجات الناس الضرورية". تعمل هذه المنظمات في الشأن الزراعي لا سيما مشاريع الري ومساعدة الجمعيات الفلاحية المعاد تفعيلها، وكذلك مساعدة مربي المواشي عبر توفير بعض الأدوية واللقاحات، كما تعمل في إزالة ركام الأبنية المدمرة وإعادة تأهيل محطات مياه الشرب وصيانة شبكات الصرف الصحي وخطوط الكهرباء وتشغيل الأفران، وفي حالات أقل صيانة الطرقات على غرار ما حصل للطريق الممتد من الحدود الإدارية لمحافظة الرقة حتى مدينة هجين.

يقول ناشط في إحدى هذه المنظمات "تقدم هذه المشاريع أيضاً فرص عمل لأهالي المناطق المستفيدة منها وإن بشكل مؤقت، كما تساهم في تفعيل دور المرأة وفتح قنوات تواصل مع المجتمع المحلي لإطلاع السكان على طريقة عمل منظمات المجتمع المدني من خلال جلسات حوار وندوات تثقيفية للأهالي". بينما يشكو مدير منظمة أخرى من نقص الخبرات ضمن صفوف هذه المنظمات التي تعتمد بحسب قوله على "جامعيين تنقصهم الخبرة العملية في مجال التنمية وإعداد الخطط والدراسات المالية والتقنية"

كما تشكو بعض المنظمات من عدم تعاون الأهالي معها. فالعمل يتطلب أحياناً أخذ صور وشرائط فيديو لعينات من المستفيدين المفترضين من هذه المشاريع، لكن الأهالي يرفضون الظهور لأسباب مختلفة منها ذهابهم أحياناً إلى مناطق سيطرة النظام.

من جهة ثانية يتهم بعض من استفادوا من هذه المشاريع المنظمات التي نفذتها بالفساد والمحسوبية وتفضيل

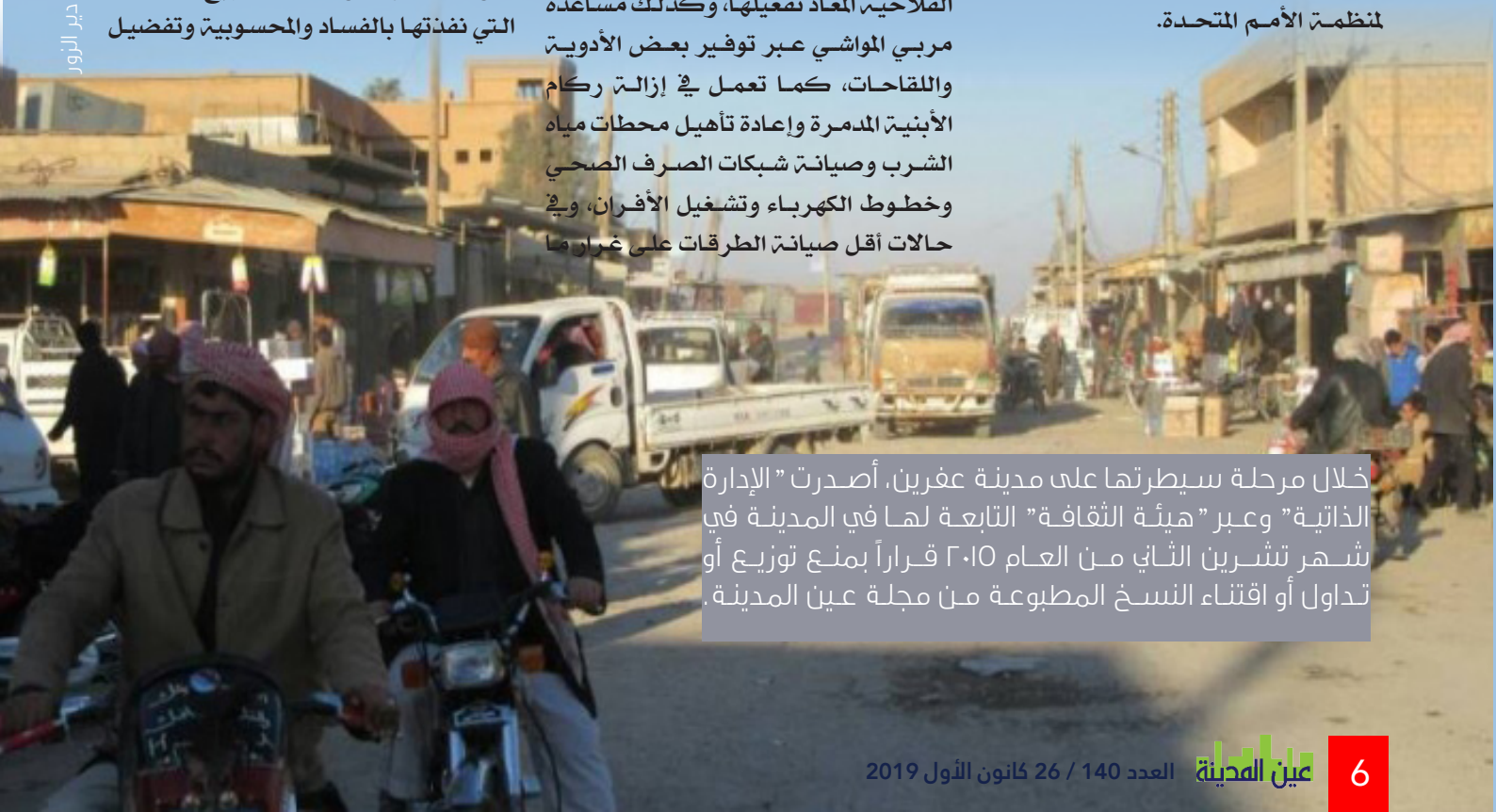

من الإنترنت لمدينة دير الزور

خلال مرحلة سيطرتها على مدينة عفرين، أصدرت "الإدارة الذاتية" وعبر "هيئة الثقافة" التابعة لها في المدينة في شهر تشرين الثاني من العام ٢٠١٥ قراراً بمنع توزيع أو تداول أو اقتناء النسخ المطبوعة من مجلة عين المدينة.

الأقارب والأصدقاء. يقول شاب من ريف دير الزور لعين المدينة إنه يعرف مدير منظمة محلية طلب من صاحب مكتبة تزوير فواتير مختومة عبر استخدام برنامج "الفوتوشوب"، لكن الأخير رفض فعل ذلك. وختم هذا الشاب كلامه بالقول "المنظمات تسرق أكثر مما تعمل".

رحلة الترخيص ورشاها

وفق المعمول به لدى الإدارة الذاتية، لا بد لكل منظمة ناشئة أن تتقدم قبل انطلاق أعمالها بطلب ترخيص إلى لجنة محلية خاصة بالمنظمات في مجلس دير الزور المدني التابع للإدارة. ولا تبدو مسيرة الترخيص هذه سهلة: فالطلب يقدم إلى مكتب "لجنة المنظمات المحلية" في ريف ديرالزور، ثم يحول إلى الدراسة الأمنية لدى "الأمن الداخلي" الذي يحولها بدوره إلى "الأمن العام"، بعد ذلك يعود الطلب إلى اللجنة المحلية لترسله الى "لجنة خماسية" تضم مسؤولاً واحداً أو اثنين من حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي (P.Y.D) إضافة إلى مسؤولين في جهاز المخابرات التابع لـ الإدارة الذاتية. وبخلاف ما يتكلم عنه مسؤولون في "الإدارة" بأن البت بطلب الترخيص يجب أن يستغرق شهراً واحداً فقط، لم تتمكن أي منظمة من المنظمات المرخصة التي تواصلت معها عين المدينة، من الحصول على الموافقة قبل مرور أشهر على تقديم الطلب. وإضافة إلى الجهد والمشقة والانتظار، تتطلب هذه الرحلة الطويلة في ملاحقة الترخيص الكثير من النفقات التي يعجز عن تأمينها معظم من يرغبون بالمشاركة في العمل المدني في إطار المنظمات.

يقول مدير منظمة استغرق ترخيصها ستة أشهر: "الشروط المطلوبة لتقديم طلب الترخيص هي إقامة خمسة من أعضاء المنظمة في مناطق سيطرة قسد، وإعداد نظام داخلي يحدد رؤية المنظمة وشعارها وقانون عضويتها ومجلس إدارتها، والبيانات الشخصية للمؤسسين. بعد ذلك ننتظر الدراسات الأمنية والموافقات، ونلاحقها من مرحلة إلى أخرى". وتابع "ينحصر دور المجلس المحلي في سير عمل المنظمات بإصدار الترخيص بعد الاطلاع على المشاريع المزمع تنفيذها، وتوظيف العاملين في المشاريع (بعد الانتهاء من المشروع وتحوله إلى مؤسسة خدمية)".

يتهم ناشطون مدنيون حزب الاتحاد الديمقراطي (P.Y.D) ومن ورائه حزب العمال الكردستاني (P.K.K) الذي يتولى أعضاؤه المعروفون بـ"الكادرو" عمل المراقبة من الظل، بالهيمنة على ملف المنظمات. إذ يسعى المنتسبون لحزب الاتحاد الديمقراطي إلى الاستفادة الشخصية من عمل هذه المنظمات عبر فرض وتلقي الرشاوى في بعض الحالات للتوسط مقابل تسريع الحصول على الترخيص.

ويقول صحافي يعمل متنقلاً في مناطق قسد لعين المدينة، إن قيمة الرشوة تصل أحياناً إلى أربعة آلاف دولار مقابل الموافقة على طلب الترخيص. كما يقول مدير إحدى هذه المنظمات: "الله يلعن الكاذب.. دفعنا" دون أن يحدد المبلغ الذي دفعه لتسريع أو تسهيل حصوله على الترخيص. ويضيف الصحافي أن تدخل قسد و"بلديات الشعب" والمجلس المدني و"الكادرو المحلي" بشؤون المنظمات لا يقتصر على الترخيص، بل يمتد إلى مسيرة عمل المنظمات بعد ذلك. يقول في هذا الصدد: "يتعاملون مع المنظمات كأنها تابعة لهم، فيحظر على المسؤولين عنها الاجتماع خارج مقرات قسد، كما يمنعون من البت في أي مناقصة ما لم يشرف عليها الكادرو المحلي"، الذي يتدخل حسب الصحافي "حتى في أعمال المراقب الذي تعينه الجهة المانحة لتقييم أداء كل منظمة في كل مشروع تنفذه".

حاولت عين المدينة الاتصال بهيئات مختلفة من الإدارة ذات صلة بشأن المنظمات لإعطائها فرصة الرد على الاتهامات التي توجه إليها. لكن الجميع رفضوا باستثناء أحد المسؤولين الذي سألنا قبل الرد ما إذا كانت عين المدينة "مرخصة من الإدارة" لتتمكن من العمل في مناطق قسد. وعند إبلاغه بأن عين المدينة غير مرخصة، طلب إغفال اسمه ليجيب على أسئلتنا بالقول: "في ديرالزور 38 منظمة مرخصة، وأؤكد لك أن جميع المشرفين على إجراءات الترخيص لم يستلموا ليرة سورية واحدة مقابل أي ترخيص، أما إذا سمحت إحدى المنظمات لأحد ما باستغلالها فهذا شأنها الخاص، فالقانون لا يحمي المغفلين!". وأضاف أن المسؤولين في الإدارة، وبهدف اختصار المدة التي يستغرقها الحصول على الترخيص، عهدوا بهذه المهمة إلى لجنة المنظمات في الكسرة التي سمح لها أيضاً بمنح تراخيص استثنائية لمدة شهر واحد، كما تم تجاوز مرحلة إرسال الطلب إلى الأمن الداخلي.

وأوضح أن هذه التغيرات جعلت عدد المنظمات المرخصة يرتفع من 15 إلى 38، إلا أنه حرص على الإيضاح أن هنالك فقط 15 منظمة تنشط فعلياً على الأرض، وأن العمل جار على وضع قانون اداري جديد يتيح للجنة مراقبة تقييم فاعلية كل منظمة خلال مدة الترخيص المؤقت، وعلى هذا الأساس تجدد التراخيص لثلاثة أو ستة أو 12 شهراً.

متداولة لأحد الاجتماعات بين قسد وممثلي المنظمات

علي مملوك ومظلوم عبدي

في اجتماع القامشلي.. علي مملوك يتوعد الأمريكيين ويطالب العشائر بإطلاق «المقاومة»

هاشم الوزير أثار الاجتماع الذي عقده اللواء علي مملوك رئيس مكتب الأمن الوطني التابع للنظام، مع شيوخ عشائر ووجهاء من محافظة الحسكة في مطار القامشلي يوم الخميس 5 / 12/ 2019 الكثير من التكهنات حول توقيته وأهدافه والشخصيات المشاركة فيه، رغم أنه ليس الأول من نوعه.

تمكنت عين المدينة من التواصل مع إحدى الشخصيات المشاركة في الاجتماع، والذي طلب عدم الكشف عن اسمه. وقد أوضح أن عدد الأشخاص الذين تم استدعاؤهم للاجتماع الذي استغرق نحو ساعتين هم 25 شخصية تقريباً، وشارك فيه أيضاً محافظ الحسكة.

وتأتي زيارة مملوك إلى الحسكة في ظل التجاذبات الإقليمية والدولية التي تعيش تحت وطأتها منطقة الجزيرة السورية، حيث تحاول كل من روسيا والنظام السوري توسعة سيطرتهما بعد التوغل التركي في المنطقة واستعانة "الإدارة الذاتية" بقوات النظام لإيقاف ذلك التوغل، بينما استأنفت روسيا وفق اتفاق سوتشي مع تركيا ما بدأته الإدارة الأمريكية في إبعاد قوات "وحدات الحماية" الكردية عن حدود تركيا التي ترفض وجودها هناك.

يدرك النظام السوري مدى الخوف الذي يتلبس أبناء المنطقة من معارك طويلة قد تشهدها قراهم ومدنهم بين فصائل "الجيش الوطني" المدعوم من تركيا و"وحدات الحماية"، في وقت يبدو "انتصار" النظام أقرب من أي وقت مضى. كما يدرك أي حساسيات ذات خلفية إثنية ضاعفتها ممارسات سلطوية وانتهاكات ضد أبناء المنطقة يقف خلفها "حزب الاتحاد الديمقراطي" وجناحه العسكري. ويحاول توظيف ذلك في تحريض العنصر العربي للانضمام إلى قواته، خاصة أن قوات الإدارة الذاتية فرضت التجنيد الإجباري بالتزامن مع بدء "نبع السلام".

ووفق مصدر المعلومات، فقد بدأ الاجتماع بكلمة لمملوك أشار فيها إلى أهمية منطقة الجزيرة ومحافظة الحسكة بالنسبة إلى النظام، منوهاً بـ"دور العشائر العربية التاريخي في المنطقة بمقارعة الاستعمار الفرنسي وقبله العثماني"، قبل أن يعرج على وضع المحافظة في ظل الظروف الحالية، حيث أكد على "عروبة المنطقة التي يشكل المكون العربي النسبة العظمى من سكان هذه المحافظة الذين يتوجب عليهم الضلوع بمسئوليتهم التاريخية وإثبات أنفسهم وولائهم للوطن" ليصل إلى بيت القصيد بالنسبة إليه عندما دعاهم إلى "سحب أبنائهم من صفوف الوحدات الكردية لكي لا يكونوا أدوات بيد الغير".

وقام محافظ الحسكة جايز الموسى بعدها بالتعريف ببعض الشخصيات المشاركة في الاجتماع، ليلقي بعدها محمد الفارس شيخ قبيلة طي وأحد مؤسسي ميليشيا الدفاع الوطني في القامشلي، بكلمة أشاد فيها بـ"فضل الدولة

على الجميع" مجدداً ولاءه "لقائد الوطن"، ومطالباً ببديل عسكري يضم أبناء العشائر، حسب ما أفاد المصدر لعين المدينة. وقد رشح محمد الفارس اللواء 47 في حلب الممول من قبل عضو مجلس الشعب المستثمر حسام القاطرجي، كبديل لجيش النظام في محافظة الحسكة، مع العلم أن معلومات من المنطقة تشير إلى أن الشيخ الفارس تلقى قبل نحو شهر مبلغ 20 ألف دولار من القاطرجي مقابل امتداد فصيل القاطرجي العسكري في الجزيرة ورفده بعناصر من قبيلة طي.

وفي رده على طلب مملوك ضرورة سحب أبناء العشائر من صفوف الوحدات الكردية قال محمد عبد الرزاق، أحد شيوخ عشيرة طي، أن شيوخ العشائر "لا يملكون سلطة على أبناء القبيلة لسحب العناصر أو منع أحد من الانضمام" إلى أي فصيل، وأن "الدولة تتحمل مسؤولية توفير البديل"، مشيراً إلى قائد فوج طرطب العسكري (154) في القامشلي الذي قال إنه "لا ينفذ قرارات الرئيس والتي تنص بأن يخدم أبناء كل منطقة في مناطقهم". فقاطعه مملوك عندها بالقول "لا أحد فوق القانون".

من جانبه علاء الدين رزيكو أحد وجهاء عشيرة الشرابين وعضو مجلس الشعب، قال إن "مسؤولية حماية الوطن تقع على عاتق الجميع، وسوريا تتعرض لعدوان تركي وأمريكي". عندها تدخل شيخ قبيلة عدوان محمد الحلو بالقول إن أخ علاء الدين رزيكو الذي يدعى خليل هو عنصر في الجيش الحر وقد دخل مع الجيش التركي إلى رأس العين. وأضاف الحلو أن "الدولة لا تتعامل مع أبناء المنطقة بواقعية"، فهي تقوم بفصل الموظف الذي يغيب عن دوامه رغم علمها بأنه "موقوف لدى الأكراد بتهمة العمالة للدولة السورية". وقال في هذا الإطار إن "على الدولة أن تعتقل مقابل كل شخص لدى الأبوجية (في إشارة إلى حزب العمال الكردستاني) عنصراً من الوحدات الكردية".

وتابع مصدر المعلومات نفسه مكملاً شرح ما جرى خلال هذا الاجتماع، موضحاً أن شيخ عشيرة شمر اعتبر أن على الدولة الاهتمام أكثر بالمنطقة وتوفير الخدمات العامة للمواطنين والدعم للمزارعين أسوة بما يحصل مع أبناء محافظة طرطوس، في حين أكد الشيخ حسن المسلط أحد وجهاء عشيرة الجبور وعضو مجلس الشعب، "دعم العشائر للدولة ووقوفها خلف القيادة الحكيمة". وعبّر عدد من المشاركين في الاجتماع عن معارضتهم للوجود الأميركي باعتباره "عائقاً كبيراً أمام الحل"، كما طالب بعضهم ببطاقات أمنية ولوحات لسياراتهم.

بدوره قال علي مملوك الذي كان يدوّن على ورقة بعض النقاط حسب ما وصف المصدر لمجلة عين المدينة، إن "جميع المطالب مشروعة وسنعمل على تلبيتها"، مضيفاً أن "الوجود الأمريكي لن يستمر طويلاً لأننا لن ندعه يرتاح وسنعمل على مقاومته بكل الأشكال، ودوركم (في إشارة إلى الشيوخ) يكمن هنا في تشكيل نواة المقاومة وقطع يديه وأدواته في المنطقة". كما اعتبر مملوك أن الوحدات الكردية بدأت تنحسر عن المنطقة، وأنها اختارت الشريك الخطأ، وأن "عروبة المنطقة خط أحمر تفرضه الحقائق التاريخية والجغرافية والديموغرافية".

واختتم بمملوك بالقول إنه بصدد عقد اجتماع آخر خلال الأيام القليلة المقبلة لعشائر دير الزور، وسيدعو "جميع شيوخ المنطقة الشرقية إلى اجتماع شامل في دمشق لوضع آلية عملية لتفعيل دور العشائر".

اجتماع عشائري - نشطاء

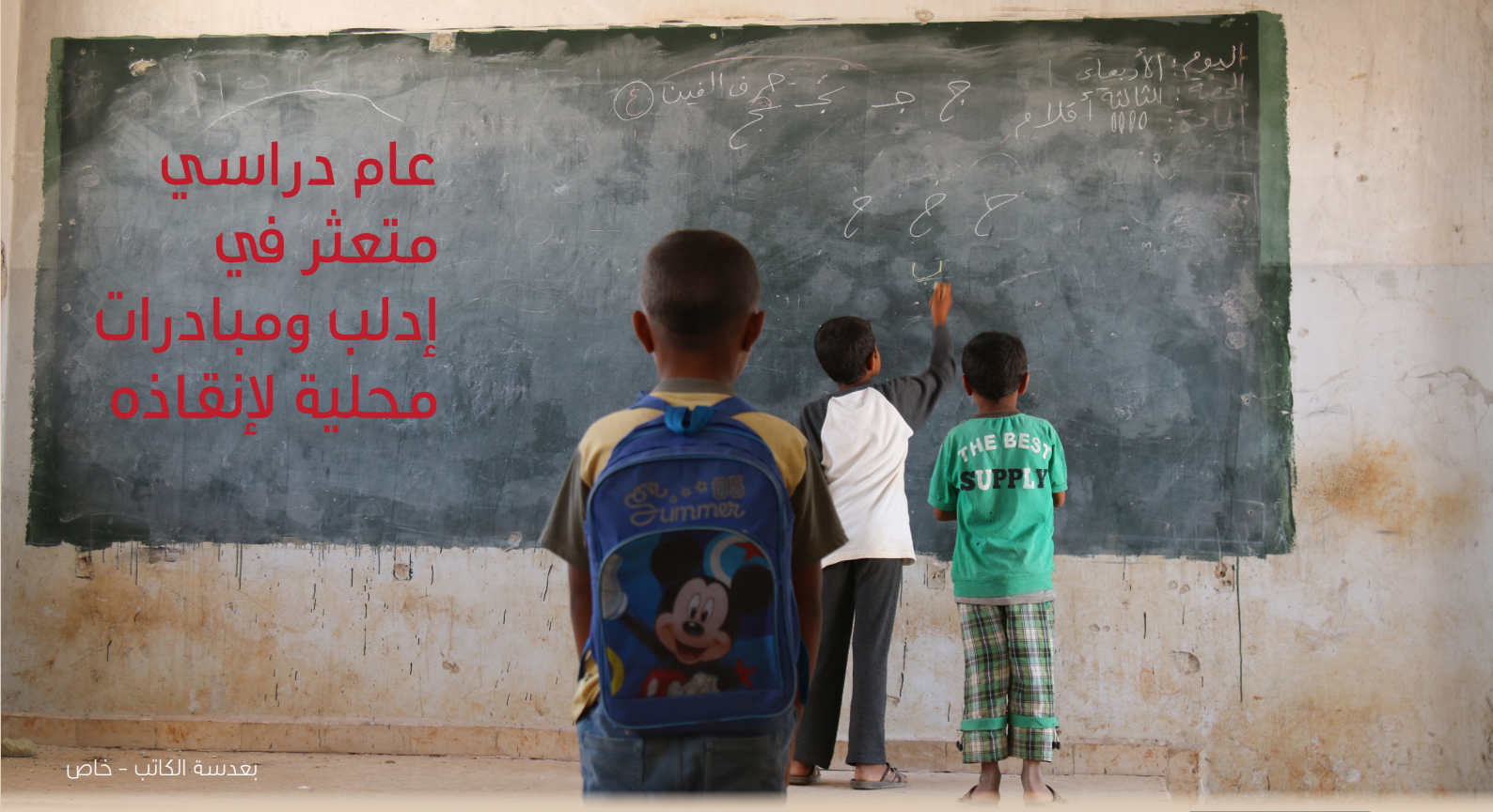

عام دراسي متعثر في إدلب ومبادرات محلية لإنقاذه

بعدسة الكاتب - خاص

أحمد العكلة

يعود خريج كلية التربية محمد الضعيف من مكتب إحدى المنظمات الإنسانية في ريف إدلب الشمالي بعد أن قدم طلب عمل في مجال الصحة النفسية، وذلك بعد انقطاع رواتب المعلمين مع بدء العام الدراسي الحالي.

محمد الضعيف (42 عاماً) معلم في المرحلة الابتدائية في إحدى مدارس ريف إدلب الجنوبي، كان يتقاضى راتباً شهرياً قيمته 120 دولاراً لقاء التدريس مع مديرية التربية والتعليم التابعة للحكومة المؤقتة في إدلب. لكن مع بدء العام الدراسي الحالي تم إبلاغه بتوقف الدعم المالي للقطاع التعليمي، فزاول التدريس بشكل مجاني لفترة من الزمن قبل أن يتوقف للبحث عن عمل جديد يؤمن القوت لعائلته.

يقول الضعيف لعين المدينة: "لم يكن الراتب الشهري الذي كنا نتقاضاه يكفي لأكثر من نصف شهر، فنضطر للاستدانة لتغطية نفقات النصف الثاني منه، ومع ذلك كنا نلتزم بالدوام من أجل الحفاظ على استمرار العملية التعليمية وعدم تسرب الطلاب. لكن مع مرور ثلاثة أشهر دون الحصول على مقابل مادي لم يعد بالإمكان الاستمرار بالعمل". وأضاف الضعيف "بدأت تقديم طلبات عمل لدى المنظمات الإنسانية الناشطة في المنطقة حيث تعرض عشرات الوظائف بشكل يومي، لكنني لم أحصل على وظيفة حتى الآن. وقد باشرت العمل في البناء مع أحد أقربائي من أجل تحصيل مدخول يومي يمكنني من تأمين قسم من حاجيات المنزل بانتظار الحصول على مدخول آخر".

وبعد توقف مديرية التربية والتعليم في محافظة إدلب عن دفع رواتب آلاف المعلمين في الشمال السوري نتيجة توقف برنامج كومنكس عن دعم القطاع التعليمي في ريف إدلب بسبب سيطرة هيئة تحرير الشام على المحافظة، بات الكثير من المعلمين يجدون صعوبة في تأمين قوتهم اليومي، خصوصاً في ظل موجة النزوح والغلاء التي تصيب الشمال السوري نتيجة الحملة العسكرية السورية.

وكانت "كومنكس" توقع عقوداً سنوية لمدة تسعة أشهر لتلبية حاجات المدارس ودفع رواتب المدرسين، لكنها أبلغت المعنيين هذا العام أنها لن تجدد عقودها، دون إبداء الأسباب. كيمونيكس (chimonics) شركة أمريكية تعمل في التنمية الدولية وتتسلم منحة المفوضية الأوروبية المقدمة لمديريات التربية في المناطق الخارجة عن سيطرة نظام الأسد في شمال غرب سوريا، كانت تدعم 7200 معلم براتب شهري 120 دولاراً والإداريين ب130 دولاراً.

وأدى انقطاع الرواتب إلى توقف عدد كبير من المعلمين عن الذهاب إلى المدارس لتعليم التلاميذ بسبب اضطرارهم إلى البحث عن عمل جديد يؤمن دخلاً لهم، ما أدى إلى تسرب آلاف الطلاب وتوقف عدد من المدارس عن العمل تماماً، فيما آثر قسم من المعلمين مواصلة العملية التعليمية بشكل مجاني خوفاً على مصير الطلاب.

الطالب محمد الكامل (14 عاماً) من مدينة إدلب يعمل حالياً في أحد المحال التجارية في المدينة بعد أن رفض الذهاب إلى مدرسته هذا العام بسبب توقف قسم كبير من معلميه عن الحضور. يقول الكامل: "بتنا نفضّل البحث عن عمل من أجل مساعدة أهلنا بدل الذهاب إلى المدرسة التي لم يعد فيها التزام بسبب تسرب الطلاب والمعلمين، وعدم وجود أعداد كافية من الكتب واللوازم المدرسية. خلال الشهر الأول من الفصل الدراسي لم أتلقَ أكثر من 10 حصص مدرسية".

وأضاف الكامل "حصلت على عمل في أحد المحال لبيع المواد الغذائية حيث أحصل على 1300 ليرة يومياً، وهو مبلغ أساعد فيه عائلتي في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة. لم أعد أرغب في الذهاب إلى المدرسة في ظل الأوضاع الحالية لأن الذهاب بات مضيعة للوقت".

وفي إدلب، تعتبر مديرية التربية والتعليم التابعة للحكومة المؤقتة المسؤولة الأولى عن ملف التعليم في المحافظة لجهة رفد المدارس بمستلزمات التعليم، وتسليم المعلمين رواتبهم بشكل شهري. كما تقوم بعض المنظمات السورية المدعومة من منظمات أوروبية بتنفيذ مشاريع تعليمية مثل بناء مدارس خاصة بها وتأمين الكوادر التدريسية لها شرط التنسيق مع مديرية التربية والتعليم.

مصطفى حاج علي مدير المكتب الإعلامي في مديرية التربية والتعليم، قال لعين المدينة: "تشرف مديرية التربية والتعليم على 1167 مدرسة وتؤمن التغطية الإدارية لها. عدد المعلمين الذين كانوا يتلقون الرواتب من مديرية التربية والتعليم 7200 معلم في مختلف الاختصاصات ومختلف المشاريع، والعقود التي كان يتم إبرامها هي لمدة 9 أشهر". وأضاف حاج علي: "هذا العام تم إخطارنا بتوقف المنحة التي تقدم للعملية التعليمية في إدلب من قبل المنظمة الداعمة للتعليم بشكل مفاجئ، وقد أثر هذا الأمر بشكل كبير على التعليم الذي بات مهدداً بشكل مباشر. نسعى الآن إلى تامين مصدر بديل للدعم من أجل إعادة العملية التعليمية إلى مسارها".

وفي سبيل دعم العملية التعليمية في الشمال السوري، عمل بعض النشطاء على تقديم دعم رمزي للمعلمين الذين يواصلون عملهم بشكل مجاني لتشجيع استمرارهم، من خلال جمع مبالغ مالية من المغتربين والميسورين في القرى والمناطق المحررة وتقديمها للمعلمين شهرياً.

يقول فيصل السليم، وهو أحد القائمين على هذه المبادرات الصغيرة لدعم المدرسين: "قمنا بجمع تبرعات في الدانا بريف إدلب الشمالي ثم وزعنا مبلغ 30 ألف ليرة لكل معلم مع سلة غذائية قامت إحدى المنظمات الإنسانية بمنحها للمعلمين تشجيعاً لهم على تسيير العملية التعليمية دون الحصول على أجر مادي (من جهة رسمية)". وأضاف "نحاول الحصول على دعم مالي من خلال طرق أبواب التجار والمغتربين والأغنياء بهدف توسيع عملية دعم المعلمين في هذه الفترة الصعبة لضمان استمرار التعليم على الأقل حتى نهاية الفصل الدراسي الأول، ومنع عملية تسرب المعلمين والطلاب التي تهدد مستقبلهم".

من جهته يقول أستاذ اللغة العربية هشام كسار، وهو يعمل دون مقابل مادي في إحدى مدارس منطقة جبل الزاوية: "أعمل كمدير للمدرسة منذ بداية العام، وأحاول حث المعلمين على الاستمرار بالعمل بشكل مجاني حتى يتم تأمين دعم، وأحاول منع الطلاب من التسرب من خلال ضبط العملية التعليمية". وأضاف" قمت ببيع بعض قطع من الذهب المتبقية لعائلتي، ولجأت إلى استدانة مبالغ مالية من أحد اقربائي من أجل تأمين مصاريف الشتاء، في ظل عدم حصولنا على أي مبالغ مالية مقابل عملنا، مع استمرار ارتفاع الأسعار بشكل جنوني وصعوبة المعيشة".

وفي ظل الرغبة الملحة للأهالي باستمرار تلقي أولادهم التعليم، يقوم قسم منهم بإرسال أولادهم إلى معلمين خصوصيين لتلقي التعليم للمرحلة الابتدائية مقابل أجر مادي شهري، في حين يتلقى تلاميذ المرحلة الثانوية دورات في معاهد خاصة مقابل مبالغ مالية تختلف حسب نوع الدورة، لتجنيبهم شبح الانقطاع عن التعليم.

ديمة العبد الله (28 عاماً) خريجة كلية المناهج وطرائق التدريس في جامعة حلب، تعيش في منطقة أطمة على الحدود السورية-التركية. تقول: "عرض بعض الأهالي علي تدريس أبنائهم داخل منزلي مقابل دفع 10 آلاف ليرة كل شهر عن كل تلميذ فوافقت. أقوم الآن بتدريس 12 طالباً من خلال إعطائهم جلسات دراسية لمدة 5 أيام في الأسبوع". وتضيف "يعاني الطلاب من تراجع كبير في قدرتهم على فهم المناهج الدراسية بسبب انقطاعهم المتكرر عن التعليم خلال السنوات الماضية، لذلك أعمل على إعادة تدريس المنهاج منذ البداية من أجل تنمية قدراتهم على التعلم".

مع انقطاع الدعم من قبل بعض المنظمات الداعمة للتعليم، تم إغلاق عدد من المدارس في إدلب، وأضحى أكثر 57200 طالب يتبعون لمديرية التربية في إدلب بالإضافة إلى 7000 طالب وطالبة نازحون من حماة إلى إدلب، جميعهم مهددون بالتسرب والتشرد والجهل، بسبب انقطاع كافة أشكال الدعم عنهم وعن مدارسهم ومعلميهم، إلى جانب تخصيص الكثير من المدارس لاستقبال النازحين من جنوبي إدلب بعد حملة النظام الأخيرة وقصف الطيران الروسي المرافق لها.

بعدسة الكاتب

سوق لبيع الحطب في مدينة بنش - بعدسة الكاتب

وكأن المعاناة الناتجة عن القصف المتواصل لمنطقة إدلب من قبل قوات النظام والطيران الروسي لم تعد تكفي سكانها، فجاء الارتفاع الشديد في سعر المحروقات ليزيدها حدة. فشتاء إدلب قارس والعمليات العسكرية في شرق الفرات عرقلت كثيراً نقل المحروقات إليها، فارتفعت أسعار مواد التدفئة الأساسية بشكل كبير ما دفع سكان المناطق المحررة من قبضة النظام إلى البحث عن بدائل يفتقد معظمها إلى أدنى معايير السلامة.

أساليب التدفئة البديلة في الشمال السوري.. مخاطر وأضرار صحية

سونيا العلي

لا يزال الحطب من وسائل التدفئة الأكثر شيوعاً في إدلب وريفها، ولكن كثرة الطلب عليه ساهم في غلاء أسعاره. سامر الشيخ أحمد يستخدم الحطب، وعن ذلك يقول: "لم يعد المازوت حلاً للتدفئة في إدلب لندرته وغلاء أسعاره، لذلك نعتمد على الحطب. لكننا مجبرون على استخدام الورق وأكياس النايلون لإشعاله في المدفأة فينبعث الدخان في المنزل، كما تتعرض أنابيب المدفأة للإنسداد في معظم الأحيان ما يستوجب تنظيفها مرة في الشهر على الأقل".

ويتابع "تزامنت حاجة الناس لبديل عن الوقود التقليدي مع استفادة بعض المناطق من موسم الفستق الحلبي لإنتاج مدفأة خاصة تستخدم قشوره الصلبة وقودا. وتتميز هذه القشور بأنها لا تصدر رائحة كريهة لدى احتراقها على عكس معظم بقية المواد، لكن سعرها يبقى غالياً نسبياً ويقتصر استخدامها على الميسورين، حيث يبلغ سعر الطن الواحد من قشر الفستق حوالي ١٧٥ دولاراً، أما المدفأة الخاصة به فيبلغ سعرها ١٠٠ دولار على الأقل".

الكثير من الأهالي يستخدمون الفحم الحجري للتدفئة رغم أضراره الصحية. أبو حسن يبيع الفحم الحجري في بلدة خان السبل بريف إدلب، تحدث لعين المدينة قائلاً: "الفحم ثلاثة أنواع بحسب جودته، فالأبيض هو أردأ الأنواع، وأفضلها هو الأزرق ويتوسطهما الأحمر، وكل نوعية تختلف في سعرها عن الأخرى". فاطمة من معرة النعمان تستخدم الفحم للتدفئة باعتباره أقل تكلفة من وسائل التدفئة الأخرى، وعن ذلك تقول: "الفحم جيد كمادة للتدفئة، ولكنه يهدد بتحويل كل ما حوله إلى اللون الأسود ويصدر رائحة كريهة لدرجة أن أطفالي يمرضون بشكل مستمر، أما ولدي الأصغر فقد أصيب بمرض الربو التحسسي".

كذلك يلجأ البعض للتدفئة بالبيرين، وهو مخلفات الزيتون التي تنتج عن عملية العصر واستخراج الزيت، ويباع على شكل قوالب خاصة أسطوانية الشكل بعد ضغطها. حول ذلك يقول أبو وائل من مدينة إدلب: "أستخدم البيرين لأنه يمنح دفئاً أكثر مقارنة بالحطب، ويبلغ سعر الطن الواحد منه حوالي ٨٠ ألف ليرة سورية، وأنا أشتريه من المعصرة جاهزاً ومجففاً".

وفي مخيمات النازحين الحدودية يأتي البرد والفقر ليزيدا من معاناة سكانها. عائشة الكردي نزحت من بلدة الهبيط إلى مخيم الكرامة بريف إدلب الشمالي، وهي أرملة ومعيلة لعائلة مكونة من سبعة أشخاص. تقول: "أستعمل الثياب القديمة وقودا للمدفأة، حيث أذهب إلى محلات البالة وأشتري بواقي الثياب التي لم يتمكن البائع من بيعها وأدفع ألف ليرة سورية ثمناً لكل كيس يكفيني لبضعة أيام".

الخمسيني أبو علاء نازح من بلدة كفرومة إلى مخيم بنش يرسل أحفاده لجمع الأشواك والعيدان وأكياس النايلون، وكل ما هو قابل للاحتراق لوضعه في المدفأة. وعن ذلك يقول: "نعاني من نقص في مواد التدفئة ولا نحصل على أي دعم لمواجهة الوضع الحالي رغم وضعنا المأساوي، حيث أن بعض الخيام تهدمت، في حين أن مياه الأمطار تتسرب الى الكثير من الخيم".

عن المخاطر على الصحة الناجمة عن استخدام وقود تدفئة غير آمن، يقول الطبيب محمد العبسي لعين المدينة: "تنتشر في إدلب حالات حروق ناجمة عن سوء استخدام وسائل التدفئة، خاصة أثناء بداية الاشتعال"، مبيناً أن "معظم الحالات الواردة الى المستشفيات تنجم عن المحروقات بأنواعها بالإضافة إلى مدافئ الحطب، وفي بعض الحالات يتم نقل المصابين بحالة الخطر إلى تركيا لتعذر معالجتهم هنا". وأضاف: "الضرر في وسائل التدفئة لا ينحصر بخطر اشتعالها فقط، بل يتعداه إلى الإصابة بأمراض صدرية نتيجة الروائح والأدخنة المنبعثة من تلك المواد، فمثلاً يلاحظ أن بعض أنواع الوقود المستعمل يطلق رائحة كريهة تسبب حساسية لدى بعض الأشخاص وخاصة من يعانون من حساسية تجاه الروائح".

ويبين العبسي "أن أفضل أنواع التدفئة كاملة الاحتراق هو وقود الحطب، وأفضله حطب شجر الزيتون لأنه يحترق بشكل كامل، أما الأقل جودة فهو الفحم والبيرين والفضلات البلاستيكية التي تتسبب بانبعاث غاز أول أوكسيد الكربون، وهو يسرع الاختناق وخاصة عند المسنين وأصحاب الأمراض التنفسية".

ونتيجة الظروف التي فرضتها وقائع الحرب بات من شبه المستحيل الحصول في منطقة إدلب على محروقات التدفئة الأساسية مثل المازوت الذي وصل سعر البرميل منه إلى أكثر من ١٥٠ دولاراً، لذلك تنوعت خيارات قاطني الشمال السوري مع قدوم موسم الشتاء بما يخص وسائل التدفئة، فكل عائلة اضطرت لإيجاد البديل المتوفر بالسعر الذي يتناسب مع قدراتها المادية.

«الأسدية» تحرق أول رئيس للجمهورية السورية

أحمد طلب الناصر

اعتدنا عقد لقاءات شبه يومية في المقهى الذي يتوسط أحد أعرق شوارع دمشق، المقهى الذي تحوّل اسمه من "قهوة الديريين" إلى "الروضة"، إلى أن راح البعض يطلقون عليه مقهى "المثقفين".

جمع المقهى مختلف شرائح وأطياف السوريين منذ عقود؛ كتّاب وأدباء وفنانين وسياسيين. وليس أجمل من وقع اسم الشارع الذي يحتضنها على السمع ما إن تسأل صديقاً: أين أنت في دمشق؟ فيجيبك: في شارع "العابد".

"محمد علي العابد"، الذي أطلق اسمه على الشارع، هو أول من حمل لقب "رئيس الجمهورية" في سوريا، فالذين سبقوه في العهد العثماني أو بداية الانتداب الفرنسي سمّوا رؤساء "الدولة" لعدم وجود دستور يتبنى النظام الجمهوري في سوريا وقتذاك.

استطاعت الثورات المندلعة ضد الانتداب الفرنسي منذ دخول "غورو" إلى دمشق؛ كثورة جبل الزاوية وزعيمها هنانو، وثورة ديرالزور بقيادة رمضان شلاش، وجبل العرب "الثورة السورية الكبرى" وقائدها سلطان باشا الأطرش، وغوطة دمشق ورجالاتها الوطنيين من حسن الخراط ومحمد الأشمر، والجولان وثائريها أحمد مريود وأدهم خنجر، استطاعت إرغام فرنسا لتعيد حساباتها تجاه السوريين والخضوع لرغباتهم بتشكيل نظام وطني برلماني ديموقراطي، فغيّرت مندوبها السامي العسكري بآخر مدني وقبلت المفاوضات مع الزعماء الوطنيين المطالبين بإلغاء الانتداب ووحدة سوريا، فتمخّض عن ذلك إجراء انتخابات لجمعية تأسيسية وضعت دستوراً للبلاد عام 1928 وكان يتألف في ذلك الوقت من 115 مادة، أهم بنوده أن سوريا وحدة لا تتجزأ، وأن نظام الحكم فيها جمهوري برلماني.

وبالرغم من مماطلة الفرنسيين وتأجيل اجتماع الجمعية التأسيسية المذكورة، استمر نضال السوريين إلى أن تم انتخاب أعضاء المجلس النيابي الذي أعلن النظام الجمهوري 1932، فانتخب محمد علي العابد أول رئيس للجمهورية السورية.

خلال سنوات دراستنا الجامعية في منتصف تسعينيات القرن المنصرم، وقبل انتقال لقاءاتنا إلى مقهى الروضة، غالباً ما كنا نرتاد مقاهي حي ساروجة الدمشقي العتيق. وما أن تبدأ شمس الشتاء بالمغيب حتى نتوجه سيراً نحو بيوتنا -مختصرين الطريق- بين منازل الحارات القديمة الموزعة في الحي، والممتدة من وسط "شارع الثورة" وسوق الخجا إلى "شارع 29 أيار- السفراء".

وخلال المسير، غالباً ما كنا نمر بمجموعة بيوت دمشقية متهالكة تتوسط الحارات، يطلق أهالي المنطقة على أكبرها "بيت العابد"، وهو الذي ولد فيه الرئيس العابد وقضى طفولته الأولى.

البيت في حالة يرثى لها من الاهتراء، إذ كشفت أجزاء عدة من أسقفه وتداعت هياكله، كما ظهرت بعض التشققات في جدرانه، فيما تحولت غرفتان من باحة استقباله إلى مخزن وورشة لتصنيع الأحذية! في الوقت الذي يعتبره أهالي الحي بمثابة قصر لا يقل قيمةً وجمالاً عن قصر العظم الذي يقع "داخل السور"، رغم فارق المساحة التي يصغر بها بيت العابد عن قصر العظم.

ولعل أبرز البيوت التي ارتبطت باسم العابد أيضاً هو "قصر ساروجة" الذي يناهز عمره اليوم الثلاثمئة عاماً، منذ أن قام "هولو باشا العابد" جد محمد علي بإنشائه، فكان البيت الذي سكنه الرئيس العابد في فترة ممارسته النشاط السياسي، وحكم منه سوريا مدة ستة أشهر قبل انتقاله.

تعرّض ذلك المنزل للحريق ثلاث مرات خلال حكم آل الأسد، ويعتبر أول منزل دمشقي تعرض لحريق سببه "ماس كهربائي" في ثمانينيات القرن الماضي، في سابقة لم تشهدها العاصمة السورية من قبل، كما تعرض لحريق آخر عام 1995 امتد إلى الطابق الثاني من المبنى (السلملك) متأثراً بتطاير لهيب النار المشتعلة في البيت. كما تعرض في عام 2006 لحريق قضى على أحد طوابقه.

ويعتبر المنزل أو "النُزل" الذي اشتراه عزت باشا العابد والد محمد علي، في ساحة المرجة، من أهم البيوت التي اقترنت بعائلة العابد. ولعل أبرز ما شهده هذا البناء في كنف عزت باشا ووريثه محمد علي هو عقد المؤتمر السوري العام الأول ضمن صالونه الكبير عام 1919، الذي يعد أول برلمان سوري تحت رئاسة محمد فوزي باشا العظم، فاستأجره رضا باشا الركابي (رئيس أول وزارة في تاريخ سوريا المعاصر زمن الملك فيصل) من العائلة لجعله مقراً للمؤتمر السوري قبل أن يتم إنشاء البرلمان الحالي.

أما اليوم، وفي ظل نظام الأسد، يَمْثُل المبنى بهيكله القديم الحجري وبطرازه الإيطالي المشابه لطراز مدينة البندقية، وقد تحول جزء صغير منه إلى فندق من "فنادق المرجة"! بعد أن انتقلت ملكية البيت إلى مديرية الأوقاف، والجزء الأكبر منه بالمزاد العلني لصالح المديرية. فتحولت الغرف في الأدوار العليا إلى مكاتب لمعقبي المعاملات والمترجمين المحلفين والمهندسين والمحامين، فيما شغلت المحلات التجارية ومطابخ الحلويات الطابق الأرضي وباحة البناء.

لم يبقَ اليوم ما يحمل اسم العابد سوى شارع مقهى الروضة، فهل يتمكّن الأسد من انتزاعه من ذاكرة السوريين وإتمام حرق "الجمهورية" الأولى ورئيسها؟ الرئيس الذي شهد يوم تقلّد مهامه في 11 يونيو/ حزيران 1932 رَفْع العلم ذو النجمات الحمر الثلاث لأول مرة، العلم ذاته الذي شهد الاستقلال الأول، والذي يرفعه الثوار السوريون منذ 9 سنوات؛ وربما سيشهد الاستقلال الثاني من الاحتلال الأسدي.

بيت العابد

شيطانية عارية

الليلة الماضية، تحدث السياسي السوري المعروف البروفيسور محمود الحمزة، عندنا في حزب "حرية الشعب"، عن بلده وعن الحرب الرهيبة، التي تعاني منها سوريا لمدة 9 سنوات. الحرب التي تشارك فيها روسيا بشكل مباشر...

28 تشرين الثاني
أندريه زوبوف ❖
ترجمة د. علي حافظ

أشعرُ بالخجل بشكل خاص من هذا على بلدي. يقول البروفيسور الحمزة: "لا يوجد شعب في الشرق الأوسط صديق لروسيا مثل السوريين. لقد جلب المبشرون السوريون المسيحية إلى روسيا في القرن العاشر، وتمت ترجمة وقراءة أعمال الآباء السوريين للكنيسة -إفرايم وإسحاق- من قبل العديد من الأتقياء الروس. وفي الخمسينيات من القرن الماضي قامت روسيا ببناء الكثير من المنشآت الصناعية في سوريا، وعلّمت مهندسينا وعسكرييننا...

سمح بريجنيف للرفيق حافظ الأسد باستعباد هذا الشعب في سبعينيات القرن الماضي، هذا الدموي المحب للسلطة قتل جميع منافسيه تقريبًا، وحول الديمقراطية السورية إلى ديكتاتورية تحت اليافطة الأيديولوجية للاشتراكية العربية لحزب البعث. مثلما سمح لصدام حسين في العراق المجاور، بأن يؤسس نظامًا قاتمًا للمخابرات في بلد عريق ومثقف، ما جعل المواطنين يمزحون بمرارة قائلين للجدران عيون وآذان؛ وهي عيون وآذان الحراس.

ورث بشار الأسد والده وديكتاتورية هذه الأسرة منذ نصف قرن. لكن، في عام 2011، ثار شعب سوريا. وكان السبب فظيعًا. ففي مدينة درعا كتب العديد من الصبية في المدرسة: "الأسد ديكتاتور. نريد حرية"! تم نقلهم إلى الفرع المحلي من الكي جي بي (KGB)، وبعد بضعة أيام ألقيت جثثهم المشوهة بآثار التعذيب المروعة -شفرات الكتف محفورة، والأعضاء التناسلية للذكور مقطوعة، والعيون مفقوءة- أمام منازل أهاليهم. أعلنت المخابرات: هكذا سيكون مصير كل من يعارض السلطات؛ انسوا هؤلاء الأطفال وأنجبوا غيرهم موالين للنظام، وإذا فشلتم فسنساعد زوجاتكم".

بعد ذلك، خرج مئات الآلاف من المحتجين إلى الشوارع في جميع أنحاء سوريا للمطالبة برحيل الأسد، ومحاكمة ضباط الأمن الساديين، وحل الشرطة السرية، وإجراء انتخابات ديمقراطية.. المظاهرات كانت سلمية؛ وشاركت فيها كل طوائف وشعوب سوريا. ولكن بعد شعور الأسد بأن العرش تحته أخذ يتأرجح، بدأ هو ومخابراته بث الفتنة الطائفية، مثيرًا العلويين، الذين ينحدر منهم الديكتاتور السوري، ضد الغالبية السنية من السوريين، والمسيحيين ضد المسلمين. أخذ القناصة بإطلاق النار على المتظاهرين. ثم ظهرت الدبابات في الشوارع، وسال الدم أنهارًا.

ردًا على ذلك، أعلن العديد من ضباط الجيش الخروج عن تبعية الأسد وإنشاء جيش سوري حر. انطلقت الحرب ضد النظام في البلاد. تذكر الأسد فجأة أن العلويين شيعة (وهذا خطأ في الأساس)، فدعا الحرس الثوري الإسلامي من إيران إلى البلاد للمساعدة. بدأ التدخل العسكري.

لكن لم يستطع، لا الحرس الإيراني ولا حزب الله اللبناني مقاومة الجيش السوري الحر. هذا الجيش المدعم بكوادر من الضباط حقق انتصارًا ساحقًا على حلفاء الديكتاتور. في صيف عام 2015، تم تحرير البلاد عمليًا، باستثناء اللاذقية ذات الغالبية العلوية.. جرى القتال في شوارع دمشق!

وهنا تحول الأسد، وربما أسياده الإيرانيون، إلى بوتين طلبًا للمساعدة. ومنذ 30 أيلول 2015، تقاتل روسيا إلى جانب الأسد في سوريا، ويقوم الدبلوماسيون الروس والصينيون بتجميد جميع قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، التي تسعى إلى إنهاء الحرب. لمدة أربع سنوات، قام الطيران الروسي بأكثر من 90 ألف طلعة قصف جوية. حولت الصواريخ والقنابل الروسية الدولة، التي ازدهرت يومًا ما، إلى أكوام من الأنقاض، وجعلت ثلثي سكانها من اللاجئين (7 ملايين خارج البلاد، و7 ملايين آخرين داخلها).

بسبب روسيا، هناك في سوريا كارثة إنسانية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. إن عدد قتلى الحرب بين 700 ألف ومليون شخص، بحيث لا يمكن حتى نطق هذا الرقم دون ارتعاش. ومعظم القتلى والمشوهين هم من المدنيين والأطفال والنساء وكبار السن.

كان من الصعب عليّ الاستماع إلى هذه المحاضرة. لقد كره السوريون الآن الروس. إنهم أعداء شرسون لهم.

لكن لماذا انتهى بنا المطاف في سوريا؟ ولماذا ألحقنا بأنفسنا عار القتل وهزيمة الحياة السلمية؟ لماذا تدخلنا في كفاح السوريين من أجل حريتهم، ووقفنا حتى إلى جانب الديكتاتور الدموي؟

لا فوائد من هذا بالنسبة إلى روسيا. النفقات الهائلة فقط، والأضرار الفادحة لسمعة البلد، والخطيئة الرهيبة التي ارتكبت على أرض أجنبية وضد أناس لم يفعلوا أي سوء لروسيا. الفوائد الاقتصادية شبحية وغير ذات أهمية. تصرفات بوتين في سوريا هي شيطانية خالصة، وحسب مبدأ: الشر من أجل الشر.

وكان عزائي الوحيد أن حزبنا قد عارض عدوان بوتين بحزم منذ البداية، واعتمد عدة قرارات تدين تصرفات نظامه المتعلقة بسوريا. لم نتمكن من فعل شيء آخر. لو فزنا في الانتخابات لفعلنا المزيد. لكنكم تعرفون ماهية الانتخابات التي تجرى عندنا!

والآن يقوم بوتين بنشر أعمال "الشر من أجل الشر" الرهيبة هذه في ليبيا وجمهورية إفريقيا الوسطى وموزمبيق. شوهدت آثار يد خدماته الخاصة في تشيلي وكتالونيا، وهي واضحة للعيان في فنزويلا، وتتدخل في الانتخابات والاستفتاءات حول العالم.

يجب أن أقول بمرارة: بوتين في العلاقات الدولية هو كومنترن اليوم [الأممية الشيوعية]. لكن الكومنترن، الذي تخلص من مظهره الأيديولوجي -وكان حتى ذلك الحين مجرد غطاء لشهوة السلطة والتمتع بخلق الشر- تحدث بكل صراحة مثل شيطانية عارية، الغرض منها، إذا استخدمنا كلمات ألكسندر ياكوفليف، هو "إنتاج الجثة"!

من صفحة الكاتب على الفيسبوك

❖ أندريه بوريسوفيتش زوبوف: كاتب ومؤرخ ومستشرق وباحث ديني وعالم سياسي روسي، يحمل شهادة الدكتوراه في العلوم التاريخية. نائب رئيس حزب "حرية الشعب" المعارض في روسيا منذ كانون الاول 2016. (من صفحته الشخصية على فسيبوك)

قانون قيصر.. الأسد منبوذاً كما يجب

صورة السيدة المذكورة في المقال - من الإنترنت

تقف سيدة وقد أشاحت بوجه علته تعابير النفور، وهي تجمّع طرف وشاحها لتغلق فمها وأنفها؛ وفق آليّة نفسية دفاعية عند البشر حين يواجهون أمراً مقززاً لا يريدون له أيّ اتصال بما في داخلهم وجوفهم ووعيهم.

سهيل نظام الدين

هذا مشهد صورة شهيرة لإحدى الموظفات في مبنى الأمم المتحدة بنيويورك، وهي تبدو كمن يتحاشى رائحة الجثث في واحدة من 55 ألف صورة التقطها مصوّر عسكري سوري منشق، بات يعرف في أنحاء العالم باسم "قيصر"؛ والتي نظّمت الأمم المتحدة "معرضاً" لبعضها في بهو المبنى الشهير، لتكشف زاوية واحدة فقط من شناعات نظام بشار الأسد الوحشية ضد السوريين.

لا حياة ولا إبداع في معرض قيصر: أجساد نهشها العذاب، وجلود سلختها السياط وحرائق الكهرباء، وعيون جحظت، ثم جمدت وهي تصارع لالتقاط نفس أخير قبل أن يخمِد الموت في أبشع صوره ألمها الذي يفوق الوصف.

دخلت صور قيصر -أو سيزر كما يسمى في الإعلام الغربي- متاهة السياسة، وبعد مناورات مرهقة من الضغط ومحاولات الإقناع، عاد قانون قيصر إلى الحياة فأقرّه الكونغرس ووقعه الرئيس دونالد ترامب ضمن حزمة مشروع قانون ميزانية الدفاع الاميركية لعام 2020 المعروف اختصاراً بـ (NDAA).

يضع القانون جملة من العقوبات الثقيلة على الأسد وداعميه -روسيا وإيران خصوصاً- وقادة نظامه الأمنيين والعسكريين والمدنيين والمرتزقة، ويمنع أيّ تعامل مالي واقتصادي مع النظام، ويقوّض فرص الاستثمار المحلي والخارجي في مجالات حيوية خطط الروس لتحويلها إلى منصة إعادة تعويم النظام؛ مثل النفط وإعادة الإعمار وقطاع الطيران، ويستهدف المصرف المركزي والإدارات المحلية في المحافظات، كما يعيق أي فرصة لإعادة تجهيز قوات الأسد وترميمها، وهو بصورة واضحة يعيد الأسد إلى وضعية "المنبوذ" دولياً، ويحبط شهوة الانفتاح التي طغت إقليمياً وأوروبياً بعد التدخل العسكري الروسي المدمّر الذي مكّن النظام من السيطرة على مساحات واسعة من البلاد.

ماذا بعد؟

يحمل القانون -الذي أطلق كأي تطّور سياسي سوري جدالات واسعة- وجوهاً عدّة لتأويل نتائجه، لكنّه في المقام الأول يحتاج إلى أن يدخل حيّز التنفيذ الفعلي، وإلى أن تكون الإدارة الأميركية جادّة فعلاً في متابعة تطبيقه. وقبل الشروع في استنتاج مآلات الوضع في سوريا -وحولها في الواقع- بعد نفاذ القانون، فلا بد من التأكيد أنّ الطرف المعني أولاً بالتأكد من تحوّل هذا النص المتخم بالتفاصيل إلى واقع.. هم السوريون أنفسهم. ويجب أن يكون الوضوح سيد الموقف هنا، فهذه حسب المتفائلين فرصة قد لا تتكرر لإعادة النظام إلى وضعية دفاعية دولياً، بعد أن منحه القصف البساطي الروسي، والانكماش السياسي الذي واكب توقيع الاتفاق النووي الإيراني، موقعاً مغايراً وضع الأسد في هيئة سفّاح محصّن من العقاب، بل إنّ بعض الدول الأوروبية الكبرى باتت تروج لـ"واقعية" التعامل معه باعتباره "منتصراً".

تدعم هذه المحاجة، ضرورة تأسيس ميكانيزمات تعاون تصل في نهايات خطوطها إلى تغذية قوى الفعل في الولايات المتحدة، بمعطيات واقعية وموثّقة عن الانتهاكات التي تقع تحت طائلة هذا القانون. وسيحتاج السوريون قطعاً إلى إنتاج قوة الأثر الذي ينتجه هذا القانون على تركيبة النظام ذاته، والواقع أنّ التجربة مع نظام كنظام الأسد ستقود بسهولة إلى استنتاج رد فعل.

المرآة السورية

تستحق وجهة النظر التي تقابل التفاؤل بهذا القانون أن يُنظر فيها بتمعن، فهي غالباً ما تتأسس على تجربة متصلة من الخذلان الدولي منذ 2011. وربما يكون

من الحصافة ألّا يتسرع المرء في بناء رهانات على افتراض أنّ هذا القانون هو تحوّل في مسار "التخلي" الأميركي عن السوريين، مع أنّ هذا التخلي هو في حقيقته أكثر توغلاً في الزمن من الثورة، فهو في بداياته يعود إلى نهايات خمسينات القرن الماضي، تزامناً مع بدء البعثيين بجرف سوريا نحو المعسكر الشرقي والوحدة مع مصر عبد الناصر، خلافاً لكل طبائع اجتماعها وتكوين اقتصادها وإرثها الطبقي.

محور الرؤية المتحفظة هو أنّ إدارة الرئيس ترامب تنفذ انسحاباً عملانياً من سوريا، وتكتفي بالسيطرة على منابع النفط -غير المجزية في الواقع- في الشرق والشمال الشرقي؛ تاركة بقية البلاد لتكون مناطق تنفيذية في مشروع إعادة بناء النفوذ الروسي، ومركز التشويق العسكري في مسار إرضاء الذات القيصري عند بوتين، مهما كانت تكلفته... ومذابحه.

لكنّ هذه ليست الحكاية كلّها، ففي المعطى النظري للاستراتيجيا، يجب أن تكون سوريا منطقة ذات أهمية بالنسبة للولايات المتحدة ولأوروبا بدرجة أكبر، غير أنّ الاستراتيجيا لا تقوم على الأسس النظرية، بل على الحاجات والمصالح. وربما يعود جذر قانون قيصر في هذه الحالة إلى الحاجة لمنع تحوّل سوريا إلى "جوهرة التاج" القيصري الروسي، ورفع كلفة التدخل البوتيني -وهو بكل الأحوال جزء من صفقة الاتفاق النووي بين أوباما وإيران- عبر تكريس استحالة الاستفادة منه، أي أنّ القانون يعمل باعتباره كابحاً لنجاح مشروع (ينفّذ بأسلحة الدمار الشامل) لردم النزعات الديموقراطية التحررية؛ وهي معادلة سال لها لعاب أنظمة عديدة إقليمياً ودولياً.

في المرآة السورية ستبدو الصورة مقلوبة: يمكنك إبادة المدنيين لصالح طاغية إرهابي معتوه، لكن لا فرصة لعائد استثماري في إعادة بناء الخراب، ولا قدرة لروسيا على إنفاذ شراكات موضعية لأنظمة تتشهى بناء دولة مطاعم مفلسة.

إيران طبعاً

في البعد الاستراتيجي أيضاً، فإنّ انجراف سوريا الثاني -الخاضع والمنافي كذلك لطبائع الاجتماع بل والمضاد لمنطق وحاجات الغالبية الدينية القومية فيها- نحو المعسكر الإيراني مع بدء حرب التفجيرات الإرهابية بين بعثيي سوريا والعراق بالتزامن مع حرب الخليج الأولى إبان حكم حافظ الأسد، والذي تكرّس كتابعية ثقافية أولاً، ثم استيطانية تالياً مع حكم بشار الأسد، يمثّل تتمة لانجرافها الأول نحو المعسكر الشرقي. والانجرافان يشتركان في الحاجة والمصلحة لتأبيد الحكم.

وفي هذا المنحى يقدّم قانون قيصر باعتباره يستهدف الاستيطان الإيراني بصورة أساسية، فرصة مقابلة لإنتاج صيغة استعادة منطقية الاجتماع السوري. ورغم أنّ هذا يبدو مبالغاً فيه، إلا أنّ الحرب في وحشيتها تقدم دائماً -للمفارقة- فرصاً لبدايات صفرية في إعادة البناء. وبما أنّ القانون يعيق فرص الأسد وداعميه في إعادة تكوين سوريا وفق منظورهم الاقتصادي البدائي، فهو يبقي احتمال التكوّن المقابل متاحاً في حال نجح السوريون في استثماره.

كبتاغون القدس

سيكثّف النظام عمليات التنكيل الاقتصادي بالسوريين في الداخل وبما يمكنه في الخارج، لنشر علاقة بين الضائقة والقانون. سيكون هذا مؤلماً ومؤسفاً -وشريراً كما كل أفعاله- لكنّه يجب أن يكون قصيراً، لأن النظام سيتبوّغ كما فعلت وتفعل كل الأنظمة الخاضعة للعقوبات. وبانتظار تغيّر في مشهد السياسة الداخلية الأميركية؛ سيحاول الأسد استنساخ تجربة إيران، وستعلو في فضاء دمشق الشعارات الكبيرة عن طريق القدس والقضايا الكبرى. لكن الفارق الجوهري هو أن القانون سيخلق في الواقع نسخة ثانية من نظام صدام حسين بعد حرب تحرير الكويت.

وهذا رهان عسير يعني ترك الطاغية معزولاً ومنهكاً داخل فضاء البلد، لكنه قوي بما يكفي لمواصلة ذبح الشعب، ما سيخلق حاجة عند السوريين إلى صفقة إتمام قانون قيصر، لنقل الضغط من كلفة الاستمرار إلى ثمن البقاء، وهو ما سيخلق تناقضاً مشحوناً بإغراء اشتقاق صورة نهاية صدام، ومحاصراً باستنتاجات عجولة عن حتمية تكرار تجربة العراق.

ما يهم بعد قانون قيصر، هو أن يكون فاعلاً لإنهاء قدرة النظام على البقاء. وهذا شأن السوريين لا شأن ترامب.

«إعادة الإعمار» والتطهير الاجتماعي في سوريا

26 تشرين الثاني
مجلة New Internationalist
ترجمة مأمون الحلبي

عرض نظام الأسد خطة تفصيلية لإعادة إعمار سوريا. لكن، وفقاً للمهندس المعماري هاني فاكهاني وزميلته سوسن أبو زين الدين، الذيّن التقاهما أليسيو بيرون، تسعى إعادة الإعمار هذه لتحقيق عملية تطهير اجتماعي. هاني وسوسن، اللذان يقطنان حالياً في لندن، من مؤسسي "سكن"، وهو مشروع اجتماعي من أجل تقديم سكن رخيص في سوريا. في السنوات الأولى للثورة السورية وصفا نفسيهما بالنشطاء.

أليسيو: لقد كتبتما مؤخراً أن الحكومة السورية قد شرعت بوضع يدها على أحياء سكنية في كثير من مناطق البلاد. هل يعني هذا أن إعادة إعمار سوريا ما بعد الحرب قد بدأت قبل أن تنتهي الحرب؟

هاني: تماماً. نحن لا نعرف كم سنة ستدوم الحرب، لكن النظام قد وضع إطاراً لإعادة الإعمار. فالأسد يحاول أن يُنمّي الانطباع بأنه يُعاد إعمار سوريا لأن ذلك علامة على النصر؛ عبر إعادة الإعمار يُعلنون للعالم أن الحرب قد انتهت.

أليسيو: لقد قلتما أن خراب سوريا يمكن أن يُفهم فقط من خلال النظر إلى التدمير وإعادة الإعمار كوجه واحد. لماذا؟

سوسن: لأنه عند الحديث عن خراب سوريا، يُفكّر الناس عادة بالمباني المدمرة، لكن هناك ما هو أكثر من هذا بكثير. فإن تفحصنا المناطق التي دُمِّرت، سنجد أن غالبيتها الساحقة مناطق سابقة للمعارضة. في البداية، دُمِّرت هذه المناطق أثناء الحرب، وهُجِّر سُكانها قسرياً، والآن تضمن إعادة الإعمار عدم عودة السكان لأن الدولة تبني بيوتاً لا يستطيعون دفع تكاليفها هناك؛ نسمي هذه العملية "إبادة عمران" سوريا (urbicide). الجينوسايد هي عملية القتل العمد لجماعة ذات هوية معينة. الأربيسايد هو فعل هذا الأمر بحق المدينة كعمران. في سوريا، يستخدم النظام تخطيط المدن كسلاح يهدف لهندسة التغيير الديموغرافي و"تطهير" جماعات معينة.

هاني: التدمير وإعادة الأعمار يؤديان إلى نفس الهدف السياسي. لقد كان التدمير بداية أداة عسكرية استُخدِمت لطرد جماعات بعينها لأنها كانت مصدر تهديد للنظام. وتأتي الآن عملية بناء جديدة لترسّخ هذا التهديد.

أليسيو: أي مناطق وجماعات هي المستهدفة؟

هاني: بالدرجة الأولى مناطق المعارضة والعشوائيات. العشوائيات في سوريا ليست أزقة متداعية. فهي مباني إسمنتية مبنية على أراضي عامة، أو أراضي خاصة غير مرخصة؛ هذه العشوائيات هي مأوى لـ 50 % من السوريين.

سوسن: وهذه المناطق المستهدفة تمتد أيضاً عبر خطوط طائفية وهويات دينية. في حمص، تم تسوية أحياء المعارضة السُنيّة بالأرض، بينما تم الإبقاء بدرجة كبيرة على الأحياء العلوية. لماذا؟ لأنهم كانوا موالين للنظام. لكن من المضلل جعل الأمور أسود وأبيض إلى الحد الأقصى، فلم يكن ثمة وجود لمنطقة موالية أو معارضة للنظام بنسبة 100%، وكان النظام يحاول حتى قبل الحرب أن يتخلص من العشوائيات. لكن، قطعاً، ثمة استراتيجية خلف ذلك.

أليسيو: كيف يمكن لهذه الاستراتيجية أن تُثمر بالنسبة إلى النظام؟ هل بالإمكان أن تُعطوا مثالاً؟

هاني: حتى الآن، مشروع "ماروتا سيتي" في منطقة بساتين الرازي في دمشق هو الوحيد في مرحلة البناء، وهو يكشف عن مخططات الحكومة بالنسبة إلى إعادة الإعمار. وقد تم تخصيص مناطق أخرى لإعادة إعمارها، لكن عملية البناء لم تبدأ بعد. كانت بساتين الرازي منطقة تقطنها الطبقات الدنيا، وارتبطت بدرجة كبيرة بالاضطرابات الأولى للثورة، لكنها أبداً لم تسقط بشكل كلي في يد المعارضة. لذا لم تُدمّر أثناء الحرب، إنما تم هدمها لاحقاً. ماروتا سيتي مشروع ضخم، فهو يغطي مساحة حوالي 215 هكتار، وهذا ما يعادل مساحة 250 ملعب كرة قدم. وسيضم في جنباته 232 برجاً زجاجياً بارتفاعات شاهقة، وهذا ليس بالمشهد المألوف في سوريا، وسيحتوي المشروع على مزيج من الخدمات الحكومية والسكن المترف. تبدو ماروتا سيتي مثل أي مدينة حديثة تفتقر للهوية.

سوسن: أراد الأسد أن يجذب الرساميل الخاصة. إن تم التركيز على السكن الاجتماعي لأكبر قدر ممكن من الناس -كما هو منتظر من مشاريع ما بعد النزاعات- فلن يتم جذب أي أموال خاصة. فالمستثمرون العقاريون يريدون أن يلمحوا فرصة لجني الأموال؛ من هنا تتولد ناطحات السحاب الحديثة.

هاني وسوسن

أليسيو: كيف أُمكن طرد السكان وتركهم خارج منا طقهم ؟

سوسن: عشرات الآلاف الذين كانوا فيما مضى يعيشون هناك هم مُبعدون ومتفرقون، وستضمن الأسعار الحالية عدم عودتهم. كان يعيش هناك قرابة 60 ألف شخص، معظمهم من أبناء الطبقات الدنيا، لكن تكلفة المتر المربع الواحد من البيوت الجديدة ستصل لقرابة 6000 دولار. في البداية، أصدر النظام إشعاراً يطلب من الجميع مغادرة ممتلكاتهم العقارية. أُعطي الجميع شهراً واحداً -ثم تم تمديد المهلة إلى سنة واحدة- للمطالبة بحقوق الملكية، ووعدت السلطات أنه سيتم تعويض الجميع. الناس الذين كان لديهم حقوقاً رسمية تلقوا أسهماً تعويضية في المشروع وسكناً بديلاً، وعُرض على أولئك الذين لم يكن لديهم حقوقاً رسمية بدل إيجار تعويضي لمدة سنتين. واعتبر قسم آخر من السكان غير مؤهلين للتعويض وفقدوا حقوق الملكية. لكن حتى بالنسبة إلى الناس المحظوظين الذين تلقوا أسهماً وسكناً بديلاً، كان من المفترض أن تُسلّم البيوت الجديدة عام 2016. نحن الآن في 2019 ولم يتم بناء أي مسكن بديل حتى الآن، والسلطات حتى لم تستقر على الموقع المخصص للسكن البديل. وانتهى الأمر بالكثير من الناس إلى بيع أسهمهم ليتمكنوا من دفع إيجارات بيوتهم ريثما يتم تجهيز السكن البديل. في غضون ذلك، وقّعت الحكومة عقوداً بقيمة ملايين الدولارات مع المستثمرين.

هاني: من المهم أن نتذكر أننا وسط نزاع. فكثير من الناس قد اختفوا، أو هم معتقلون أو مهجرون، وكثيرون هم لاجئون خارج البلاد. القلق على السلامة الشخصية يتملك الكثير من الناس، الذين يخشون الإفصاح أنهم كانوا يعيشون في مناطق المعارضة وأنهم لاجئون خارج البلاد. وعندما تُعطي شهراً واحداً ليطالبوا بممتلكاتهم العقارية، فإنك فعلياً تحاول نزع ممتلكاتهم منهم باسم القانون، أليس كذلك؟

أليسيو: متى بدأت هذه العملية وإلى أين وصلت؟

سوسن: كانت الخطوة الأولى هي المرسوم 66، الذي يتيح هدم وإعادة تطوير العشوائيات السكنية وتقديم الأساس القانوني لإعادة الإعمار. صدر هذا المرسوم عام 2012. إن وضعنا الأمور في نطاقها الصحيح نلاحظ أن الاضطرابات السياسية قد بدأت عام 2011، أي أن المرسوم صدر بعد سنة واحدة من اندلاع الثورة. تفكير النظام الاستراتيجي سبق بمرحلة زمنية كبيرة كل الخراب الذي كان سيحدث.

هاني: من ناحية أخرى، تم إقرار القانون رقم 10 -الذي يوسع نطاق المرسوم -66 في أواخر عام 2018، والأمور تتحرك ببطء. تم تخصيص عدد قليل جداً من المناطق ضمن عملية إعادة الإعمار، لكن يجدر الملاحظة أن هذه المناطق كبيرة جداً. فقط في دمشق، تم تخصيص ما يقرب من 13 % من المدينة لإعادة الإعمار

أليسيو: ما الذي يريد النظام تحقيقه؟

هاني: يقول النظام أن خطته هي حل لمناطق السكن العشوائي. لكن في عام 2017 قال بشار الأسد نفسه عن الحرب: "خسرنا خيرة شبابنا وبنانا التحتية، لكننا كسبنا مجتمعاً أكثر عافية وتجانساً". بالنسبة إلى النظام، فإن هدف الحرب هو مجتمع متجانس موالٍ للأسد، يسوده رأي سياسي واحد فقط. ومن أجل هذا الهدف يمكن أن يستخدموا كل الوسائل التي بحوزتهم: إحدى هذه الوسائل البيئة المدينية. لنتأمل التدمير الحاصل بين 2012 و2015؛ استهدف النظام المستشفيات والمساكن والمخابز، واستخدم أسلحة غير دقيقة كالبراميل المتفجرة. حاصر المدن ليقطع الطعام والإمدادات الصحية... كل شيء ليجعل الحياة مستحيلة في تلك المناطق. السبب الوحيد الذي يمكن أن نفكر فيه هو أن النظام كان يحاول إفراغ تلك الأماكن، وإجبار الناس على الهرب.

لولا ذلك، ما كان النظام ليستهدف المستشفيات والمخابز، وما كان له أن يستخدم البراميل المتفجرة. كانت توجد حتى تقارير تفيد أن النظام في بعض المناطق قام بهدم متعمد لمئات من البيوت في مناطق المعارضة بعد أن يُسيطر على مدينة من المدن. عند نقطة كهذه لا يمكن للمرء إلا أن يقول أن الأمر ليس عشوائياً.

سوسن: تجري عملية إعادة الأعمار الآن بشكل انتقائي. يرتبط الأمر بمن الذي يجب أن يُعاقب ومن الذي يجب أن يُكافئ، فعملية إعادة الإعمار لا تنفع الفقراء والمستضعفين والضحايا، إنها تصب في مصلحة المستثمرين من محاسيب النظام، الذين يتربحون من عمليات إعادة التطوير ذات الطابع النيوليبرالي.

بسام أبو عبد اللّه.. محطات من سيرة الفتى البليد

بعد أيام من اندلاع الثورة في العام 2011، غادر بسام أبو عبد الله محل إقامته الطويلة في روسيا عائداً إلى دمشق. حينذاك كانت أبواب بشار الأسد مفتوحة لمن يود لقاءه، ما منح بسام فرصة لم يفوتها. وبين يدي الأسد ألقى كلمة قصيرة قال فيها: سيدي الرئيس تركت عملي وعائلتي في روسيا وجئت أضع نفسي في خدمة البلاد وخدمتكم.

يروق لبشار هذا النوع من الزوار، لا يلمّح إلى أخطاء، يسمع ولا يتكلم، وحاسم في إبداء الطاعة والولاء. كذلك كان أبو عبد الله الذي أصبح بعد ذلك اللقاء "باحثاً أكاديمياً وأستاذاً للعلاقات الدولية في جامعة دمشق" ومن دون أي علاقة سابقة له بجامعة دمشق أو أي جامعة أخرى. فبعد أن أكمل أبو عبد الله المولود مطلع ستينات القرن الماضي، دراسة سهلة بمنحة حكومية في طشقند بأوزبكستان الجمهورية السوفييتية السابقة، انتقل إلى روسيا ليستقر هناك، وظل مفلساً ومتعثراً في محاولاته بأن يغدو تاجراً أو رجل أعمال، وظل متعثراً حتى في حياته الشخصية بزواج من سيدة روسية لم تلبث أن طلبت الطلاق.

على شام إف إم والدنيا والفضائية السورية والمنار، وغيرها من وسائل الإعلام الموالية ظهر أبو عبد الله ك"مفكر يحلل المؤامرة ويكشف عن المتآمرين" بل ويشتمهم مرة ب "الحثالة" وأخرى ب"الرعاع الهمج" قاصداً المتظاهرين في درعا وريف دمشق وحمص وحماة ودير الزور. ولم يكن أقل حدة وبذاءة وعنصرية في كتاباته التي تولت جريدة الوطن نشرها بغزارة، ضمن سيل كتابها الجدد والقدامى المتنافسين في الدفاع عن الأسد.

برعاية وتمويل رامي مخلوف، أسس أبو عبد الله "مركز دمشق للأبحاث والدراسات-مداد" جمع فيه قراصنة فيسبوك هواة، ومترجمين عن اللغة التركية والروسية والفارسية، وعمّق من خلال هذا المركز صداقته بمفكرين وساسة آخرين من زملائه، مثل خالد عبود وميس كريدي، ورئيس الإدارة السياسية بجيش الأسد اللواء حسن حسن. ولسبب ما -قد يكون تقليص أجراه مخلوف من أموال لهذا المركز- غادره أبو عبد الله في العام 2016.

اليوم يعد بسام أبو عبد الله نفسه شخصاً فائق النجاح. صحيح أنه خسر زوجته الأولى وابنتيه منها، لكنه أسس زواجاً آخر في منزل بحي تنظيم كفرسوسة الفخم وإن كان ذلك في السر. وصحيح أن عقوداً طويلة مرت قبل العام 2011 دون أن يحقق أي إنجاز يذكر، لكنه اليوم مدير ل"مدرسة الإعداد الحزبي المركزية" التابعة لحزب البعث، التي يتطلع بعدها لأن يكون وزيراً في أي حكومة أسدية قادمة.

في سنوات قليلة من عمره الذي اقترب من الستين، تغير كل شيء في حياة ابن صف الضابط الفقير. ولن يؤثر في مسيرته الصاعدة اضطرابه الداخلي المزمن، ولا الذكريات السيئة التي يحملها من حواري مدينة مصياف التي ينحدر منها، عن ذاته، عن الفتى المنبوذ، متوسط الذكاء، البليد.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

إحدى المدارس في إدلب

بعدسة أحمد العكلة - خاص عين المدينة